في وحلٍ ما

"مجموعة قصصية"

عبد الله مفلح

اسم الكتـــاب : في وحلٍ ما

التأليـــــف : عبد الله مفلح

تصميم الغـلاف : فارس إيهاب

مراجعة لغـــوية
إخـــراج فنـــي : هيام فهيم

رقم الإيـــداع : 2020 / 9698

الترقيـم الدولي : 978-977-6797-15-4

الناشـــــر : المثقف بالتعاون مع اسكرايب للنشر والتوزيع

002 01005079256
Scribe20199@gmail.com
اسكرايب للنشر والتوزيع – scribe2019
اسكرايب للنشر والتوزيع – scribe2019
جمهورية مصر العربية

حقوق الطبع والنشر محفوظة ©
لدار اسكرايب للنشر والتوزيع

كل الحقوق محفوظة

لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة
بأي شكل من الأشكال
ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

اسكرايب SCRIBE

في وحلٍ ما
"مجموعة قصصية"
عبد الله مفلح

هذا الكتاب،،

إهداء لمن روحها تسكن السماء (جدتي).

وإهداء إليها، إليها هِي. هِي التي شاركتني النصوص، والنص الذي لم يكتب من قبلها، كان يكتب لها.

اخترت صورةً أرشيفية ووضعتها في مرمى البصر،
ثم أرسلتها لقلمي للبدء بالكتابة.
كانت الصورة عندما رأيتك تتجولين في مركز المدينة،
وعندما كان يجب عليّ إعلامك
بإنني استقبل قلمي الصورة وبدأ بالكتابة ...

لم تأتِ

لم تأتِ، لسوء الأحوال الصحية أو ربما النومية أو ربما المزاجية. الهدف من المبادرة هو أنها لم تأتِ.

هي لم تأتِ وأنا أيضًا لم آتِ. بقيتُ في بيتي أراقبُ الطريق الناعس، الفاقد لأصواتِ فيروزياتها وصوتِ رشفة القهوة ورنةِ هاتفها.

أراقبُ السماء المظلمة لأن من تُنيرها مازالت عيناها مغلقتان.
أراقبُ نفسي وعينيَّ الذابلتين وشعري المهمل وثيابي المنزلية، وطعامي الذي لم يُؤكل، وقدميّ اللتين تملكان فردةً واحدةً من الجوارب الممزقة، وحذاءً لأمي الذي هو أصلًا أصغر من أصبع قدمي الكبير.

هي لم تأتِ من بدايةِ اليوم الذي لم ينتهِ من البارحة. لم تأتِ لأنه لم يكن القدوم جزءًا من القدرِ المكتوب.

لم تأتِ ٢

لم تأتِ للمرةِ الثانية، وفي عدم مجيئها جعلتني أحسب حياتي بالثانية. عدد الأيام، عدد الساعات، عدد الدقائق مع عدد الثواني من دونِ لا الناهية.

لم تأتِ، تاركتني مرةً أُخرى بالبارحة.
تاركتني مرةً أُخرى مع قهوتي الباردة، وسجائري المرمّدة، وثلاجتي مفتوحةَ الأبواب، ومع الصنبور المزعج، وسريري غير المرتب.

تاركتني مع نومٍ استيقاظي للُقياها. تاركتني مع خيبتي ولوعتي واشتياقي. لم يكن هناك هدف من يومي الذي لم يُلد من رحمِ البارحة، لأنها لم تأتِ هذه المرة ربما أيضًا لسوءِ الأحوال الصحية أو ربما النومية أو ربما المزاجية.

لم تأتِ ٣

لم تأتِ، لكن هذه المرة أنا أتيت.
تركتُ بيتي الذي لا علم لها به وجئتُ إلى المكان الذي لم أعد أراها به.
تركتُ كل مشاعري المهمدة بالبيت وتركتُ رُزنامتي بادئةً من اليوم ليس من البارحة مثل كل مرة.
تركتُ البارحةَ فَرحًا بقدومِ مولده اليوم.
تركتُ كتاباتي عن عدم قدومها بجانب كأس الماء المكسور.
تركتُ نفسي المشتاقة وأخذت أحدًا آخرَ معي.
تركتُ عيوني تُناظرني على المرآة وتركتُ الضوء مشتعلا.
تركتُ الصالةَ تُغازلُ جمالَ مطبخي المكركب.
تركتُ التلفاز ينادي والموسيقى تصرخ.
تركتها هناك وذهبت لكي أجد نفسي من جديد.
تركتُ أسبابها الصحية والنومية والمزاجية على طاولةِ اللامبالاة.
وهذه المرة أيضًا هي لم تأتِ ربما لسوء الأحوال الصحية أو ربما النومية أو ربما المزاجية.

لم تأتِ ٤

لم تأتِ، لكنّي رأيتُها وهي في عدمِ قدومها ..
باحثةً عن القدوم الذي لم أعد أبالي به.
رأيتها تبحث عن نفسها التي تركتها بالبيت ..
عندما ذهبتُ لكي أجد نفسي من جديد.
رأيتها تاهئةً بين العودة والعودة.
رأيتها مكشفة المشاعر ومبعثرة الخطوات.
رأيتها انعاكسًا لي عندما كنتُ بحاجةٍ لقدومها،
عندما كنتُ أترك أيامي مجهضةً بالبارحة منتظرةً رؤيتها،
عندما كنتُ أجمع مشاعري وأنهض بهن من قديم.
رأيتها بحاجة لمن يقودها للقدوم ولمن يكشف لها ما الضوء خلف الغيوم.
رأيتها ربما نادمةً على عدم القدوم الذي لم أعد أبالي به.
لم تأتِ هذه المرة ربما أيضًا لسوءِ الأحوال الصحية أو ربما النومية أو ربما المزاجية.

لم تأتِ ٥

لم تأتِ، لكني ذهبتُ إلى عدم القدوم لتبريره ..
ولوضع حدٍ لقتل الأيام التي لم تولد بعد.
ذهبت مع أنا الجديدة ومعها التي لم تُترك بالبيت.
ذهبتُ حاملًا القدوم إليها.
ذهبت منتشيًا من الهزائم وفرحًا بتوقع الانتصار.
ذهبتُ لكي أجدها ما زالت تبحثُ عن قدومها الذي حملته معي لها،
ولكي أجدها هي أيضًا فرحةً بتوقع انتصار يمحي عدم القدوم،
ويبشر بولادةِ جيل من الأيام الجديدة.
وصلتُ إليها مع القدوم، ووصلتْ إليّ بمكانٍ للقدوم.
وصلتُ ونسيتُ كل الأيام المقتولة.
وصلتُ إليها وضعتُ فيها.
وصلتُ وكأنَ كل سلسلةِ عدمُ قدومها المتكرر لم يأتِ.

سألت وأجابت:
لم أستطع المجيء لأن الأيام كان يجب عليها أن تُجهض،
ولأن اللوعة والاشتياق والحرقة كان يجب عليهم ..
أن يحصلوا على مكانٍ فيك لكي تصعدَ وتجد نفسك من جديد.
فهمتُ كل تسلسل الأحداث،
ولم يبقَ شيء سوى الاستمتاعُ باللقاء.
وهذه المرة هي لم تأتِ لأسبابٍ عُـرفت بالسابق.

الترياق

أتت، وأخيرًا جملت اليوم وأعطت للفقراء من حسنها فطيرًا.
أتت مُزينة الأيام التي رحلت والتي سوف تأتي وإن لم تكن هي فيها، لأن قدومها سيكون بعنوان: قدومٌ إلى الأبد.
أتت وهربًا مشيتُ إلى اللقاء.
أتت وجعلت من الانتظار سُمًا أستمتع بآلامه وأوجاعه.
أتت وأفاقت الطريق الناعس وأعادت له فيروزياتها ورنة هاتفها ورشفة قهوتها.
أتت وكأن عدم المجيء لم يؤثر علي بشيء، نسيتُ كل الحرمان واللوعة والاشتياق عند رؤيتها.
أتت وأنا أتيتُ مع نفسي القديمة وحاملًا إياها.
أتت لتجعل من كوخي الصغير مزارًا لها ومكانًا لا أشتهي الرحيل عنه.
لم أكن الوحيد الذي انتظر مجيئها، فحتى هي انتظرت أيضًا مجيئها، كانت تبحثُ عنه بنفس الوقت الذي كُنت أبحث أنا عنها.
أتت، وأخيرًا لكي تقول: لا شيء سيكون لقدومي نظير.

ألم تحني..؟!

رأيتُ السبعَ مليارَ شبيهًا لكِ وأنت لم أرَكِ قط، منذ أن ذهبتِ بحالِ سبيلكِ وتركتيني مشردًا من غيرِ سبيل. أقولُ لكِ بأنني فشلتُ بالوصولِ إليكِ وتعثرتُ بكل خطواتي التي كنتُ أتمناها أن تؤدّي إليكِ. كلما بدأتُ برحلةِ البحثِ عنكِ أتذكرُ بأنني لا أملكُ الطريق، وكلما سلكتُ طريقًا إليكِ أرى في بدايته مكتوبًا أنني أسلكُ الطريق الخطأ.

وأنتِ ألم تحني بعد، أم أن الحنين لا يُحنّكِ إليّ. ربما يُحنّكِ إلى أصدقائكِ القدماء أو للمنزلِ الذي عشتِ فيه طفولتكِ أو ربما إلى رؤيةِ فرحةِ والديكِ عند أول كلمةٍ قلتِها.

كم أنكِ من نرجسية، تحنين دائمًا لنفسكِ. تشتاقين لكلِ اللحظات التي كنتِ فيها لوحدك. تبعثرينَ منزلكِ من أجلِ إيجادِ صورة كنتِ فيها مع أولِ لعبة حصلتِ عليها، تركضينَ في كل مرة خلف بائع الحلوى لتذكرِ مذاقه الأول مع الدموع التي نزلت بسبب رفضِ والدتكِ لشرائِها. تغلقينَ ستائر غرفتكِ ليلًا وتبدئين بتجسيدِ أيامَ الطفولة.

كلُ ذكرياتكِ لا تمثلُني، فأنتِ في الطفولة كنتِ شرشبيل لسنافري. كنتُ لا أُطيقُ النظرَ إليكِ. كنتُ أشعرُ بنفسي فتاةً وأنا بجانبكِ. الأنوثة كانت لوالدتكِ فقط، فهي كانت أجملَ نساء الحي. كانت أمي تُلقبها بالأميرة.

والدكِ لم أره قط، فهو كان دائمًا في ترحالٍ وسفرٍ. أعتقدُ لهذا السبب كنتِ كرجلٍ للبيت أيامَ طفولتكِ. لكن في فترةِ النضوج وأزهار الورود كانَ لابد لي من إعادة حساباتي وتغيير بعض الآراء ووجهات النظر، لأنني لا أريدُ البقاء وحيدًا في الماضي والمستقبل. استهلكتُ كل طاقاتي في كرهك، والآن حبك هو من سيعيدُ تعبئة عبواتي الفارغة. بدأتُ في حبكِ عندما بدأتِ تخرجين من ثوبِ اليرقة وتتحولينَ إلى فراشة وتنسين الماضي وتفكرين بما ستكونين عليه في المستقبل.

غيرتِ خططك لكي تتناسب عشوائيًا مع أمنياتي. أمنياتي اللواتي تحولن مثلك. كنتُ أُريدك حقيقة لكي أستمتع بمشاهدتك، فأما تقبلين بالمضي قدمًا أو سأطفئُ عليكِ أنوارَ قلبي لبدايةِ أحلام جديدة معكِ.

لن أراها

نص مشترك بين
عبد الله مفلح وأسما إدريس

- ألم ننزح غصبًا وتواعدنا على العودة .. ألم نحمل مفاتيح البيوت معنا متأملين بالرجوع إليها .. ألم نجعل من الهجرة وجعًا مشتركًا بيننا .. ألم نتعاهد أن لا بلد سيمثلنا سوى الحب؟!!

- نعم عاهدتك على البقاء معك، وأمضيتُ بجانبك أيامًا جعلت من الحربِ حربًا مسلوبة الراء. تقاسمت معك أملنا، وتقاسمت معك غربتنا، وعدتني بعدم الرحيل ووعدتك بالبقاء، خَبأتَ مفتاح قلبي وبيتنا في عينيك. كانت الهجرة والنزوح يخيفانني وكانت عيناك هي الأمل بالعودة.

- إذًا لماذا خنتِني وخنتِ البلاد وحصلتِ على جنسية من لا علاقة لك به .. لماذا أطلقتِ سراح الراء وأرجعتِها لمكانها .. لماذا جعلتِ من عينيّ ملجأ للخراب وأرضًا للهجران .. لماذا نمتِ قبل طلوع قمري واستفقتِ قبل صياح ديكي .. لماذا أصبحتِ محتلة من بعدِ ما كُنتِ الأرض؟!!

- يؤسفني أنني لم أحافظ على عهودنا كما يجب. يحزنني كثيرًا أننا وصلنا إلى النهاية ولم نعرف ما هي البداية بعد. يؤسفني أن قلوبنا تشردت وأصبحت لاجئةً في غربةِ الضياع .. أننا تائهون.

أنا وكما قال الأرقش (لا وطنٌ لي ولو كان لي وطنٌ لتبرأت منه) فكيف تريد مني المحافظة على العهود، وجزءٌ مني لا وطن لديه!

- يؤسفك! الأسف، هذا ما تتحدثين عنه الآن. من بعدِ ماذا؟ لم أُجد نفسي من بعدك. ضعتُ بين العهود الموهمة. لم أنل ما كنتُ أتمناه وخُذلت. لم أجد أرضًا مسلوبةً من وطنك، لم أجد نقصًا فيه، كُنتِ كاملةً من غير عيوب. كُنتِ وطنًا لكل أجنة أحلامي، لكنك وللأسف أجهضتيهن وكأنَ الحلم كان كابوسًا.

- أعترف أن أحاسيسي باهتةً ومناوراتي كانت مبهمةً. وأعترفُ بأنني جعلتُ من وطنكَ تربةً جافةً ويابسةً لا حياةَ فيها. كنتُ أتمنى لو أستطيع إطفاء ما بداخلكَ من براكين وأعاصير، ولكن وجودي معك كان يزيدها اشتعالًا وثورانًا. ربما كان عيبي الوحيد هو السعي نحو أن أكون كاملةً، كاملةً من أجلكَ أنت. ولكن بلحظةٍ ما في أثناء سعيي قطعت كل أحبالِ الوصالِ التي كانت ملتفةٍ حولنا!

- الآن مثل أي نهايةٍ، انتهى كلُ شيء. لا داعي لخلق الأعذار غير الكافية. لم أعد أنوي أن أعود لما كنتُ عليه. لم أعد أنوي خصب صحرائي وإطفاء نيراني. لم أعد أبالي بالخراب الداخلي ولا بفقدان الأرض والتغريب. لم أعد أبالي برؤية أي ماضٍ منكِ. سأستمر وكأنَ الحياة لم تمر، سأستمر وكأنَ الحياة بدأت من الآن. أما أنتِ فلا أرجو لكِ العودة وتقمص ما ليس فيكِ. ارحلي فأنا لن أراكِ بعد اليوم هناك.

لستُ على ما يرام

"لستُ على ما يرام!" .. بدأت حديثها قبل قولِ مرحبًا أو إلقاء السلام. سلطت الضوء على قلبي وأطاحت بما يحويه من شكوكٍ بالمستقبل والتفاخر المفرط بالماضي اللعين وأشغلته عن عمله في ضخ الدم وتفرد مستمعًا إليها، متابعةً حديثها وتوضيح السبب الذي جعلها ليست على ما يرام.

قالت لي: إنه كلما تراقصت الرياح على موسيقى الرعود يعود ذلك الحب القديم إلى قلبي، ويعود ليس فارغ اليدين بل حاملًا معهُ ذكريات وهموم وأوجاع رحلت أغصانها لكن جذورها بقيت مستعمرة لكي تعود وتنمو مرةً أخرى محطمةً أساسات ما بنيته من مدنٍ جديدة فيه.

وأكملت قائلةً: أراهن نفسي على عدم السماع لموسيقى الرعود، وأحاول جاهدةً إغلاق جميع أبوابي في وجه الرياح لكن لا أدري كيف تجتاح تلك الرياح قلبي!

حاولت أن أتكلم لكنها لم تعطِني فرصة، كانت تلقي خطابًا بعنوان: "إياك أن ترحل قبل الوادع!".
عمَّ الصمتُ قليلًا ففكرت بكمية إهانة الذات عندما يُسمح لك أن تكون خير الناس لكنك ترفض عرضًا قُدم إليك بالمجان وتقول: "سأقبل بالسوء ما دام يجعلني أعيش".

ثم تكلمت بتلعثم معتذرةً عن عدم إلقاء السلام، وعدم السؤال عن الحال، أجبتها: ما عليكِ، أنا بخير ما دامت الرياحُ متعبةً من الرقص والرعود فاقدةً لأوركسترا فرقتها. ابتسمت باكيةً، احتضنتني من بعيد، لمست قلبي دون الحاجة للاقتراب منه.

ابتدأ الحديثُ مرةً أخرى، لكن هذا المرة أنا البادئُ قائلًا: أنتِ تكلمتِ بما فيه الكفاية، الآن حان وقتُ إذاعتي لكي تُبَثَ على الراديو الخاص بكِ.

فتحدثتُ سائلًا متعجبًا، ألم تخنكِ كلماتكِ قط وأنت تحادثيني؟! لم أشعر يومًا بأنك على قيد الحياة وأنتِ بجانبي!، كنتُ أكلمُ قلبكِ تارة وعقلكِ تارةً أخرى. في حضرتي أنتِ دائمًا مشتتة، شياطينُ أوهامك تقاتل ملائكةَ حقائقي. أشعر وكأنما أحادث شخصين، لستُ قادرًا على استيعاب ما خطبكِ .. أأنتِ أنتِ أم هي؟!

أجابت بخوف: يا ويحي، ماضٍ أراهُ أمامي في كل لحظة مشوشًا على مستقبلي وأيامي القادمة. أنا لم أعد قادرة على إعادة إقلاع نفسي من جديد. أشعرُ وكأنَ قلبي قد صنع في الصين، لا أدري متى يعطل عن العمل ولا حتى متى يكون العكس. لذلك؛ سأعتذر مني ومنك وسأشتم الأيام التي جمعتني بأحدٍ وفرقتني به قبل الوداع.

رنَ هاتفها فجأة وإذا بوالدها يدعوها للذهاب إلى المنزل بحجة تأخر الوقت وزيارة بيت جدها لهم.
رحلت وتركتني وحيدًا أقاتلُ ذُبابَ أسئلتي الملتفة حول رأسي.

الباب الخاطئ

دخلتُ من الباب الخاطئ. ذهبتُ لكي أعتذر من غير قصد، إلا أن اعتذاري كان مرفوضًا بعض الشيء، لأنني كنتُ قد دخلت ومن بعد الدخول، لم يعد داعي للاعتذار.

توجه إليّ من بعد دخولي بواحد وعشرين ثانية رجلٌ طوله حوالي المتران، أكتافه كأفخاذه، عيناهُ مليئتانِ بالبشرِ بالباء ومن غير الباء، لكي يسألني إن كنت بحاجة شيء؛ إجابتي من بعدِ تفكيرٍ لثلاثِ ثوانٍ ضوئية كانت لاحقًا.

بعد ذلك وضعت حقيبتي الكتفية بجانبي، وخلعت معطفي الثقيل وحان وقتُ التخلي عن لفحتي الوفية. جلستُ وحضنت يديَّ ببعضهما، وصافحتهما كأنهما صديقان اختلفا ثم تصالحا ووضعتهما بجانب حنجرتي. شعرتُ بدفء المكان المتزامن مع تجوالِ أطياف عيناكِ والإزعاج الممتع من تبادل الأحاديث حولي، فكان لابد لي من إخراج دفتري المنهك من خربشاتي اللامعنية والبدء بالكتابة.

قلمي كان يفكر بشيء جديد، لم يسبق له القيام بكتابته، وأنا كنت أُراجعُ ملفاتِ أرشيفي الممتلئ بصورٍ لعيناكِ لعلّي أسرح بهن وأبدأ بكتابة أي شيء.

اخترت صورةً أرشيفية ووضعتها في مرمى البصر، ثم أرسلتها لقلمي للبدء بالكتابة. كانت الصورة عندما رأيتك تتجولين في مركز المدينة، وعندما كان يجب عليّ إعلامك بإنني استقبل قلمي الصورة وبدأ بالكتابة، فبدأ كاتبًا: هل تذكرين عندما رأيتك في مركز المدينة، كنتُ أنا مركز بعيناكِ وكنتِ أنتِ لي مدينة.

لم تنل إعجابًا منه فأمر المحاة بالقيام بعملها. ثم فكرَ قليلًا بحال ليلتي من بعد ما قد باء نهاري بالفشل، فعاد وكتب: كنت أنوي في هذه الليلة أن أسهر مستمتعًا مستمعًا إلى أغنية "هذه ليلتي وحلم حياتي" من صوتِ أم كلثوم. نغمٌ يسحبني من سخط الحياة ونغمٌ يعيدُ ترتيب أنغامي، لكن انتهى بي الأمر بأغنية "تفيد بإيه يا ندم" لأنني مازلت أقرر في وقت كل اعتراف بتأجيل جلسة النطق بالحكم لعدم تزويدي بالأدلة الكافية لرفع الجلسة. ففي كل جلسة أرتبك عندما أراها جالسةً بين الحضور عيناها مسلطتان عليّ مترقبةً إنهاء القضية ورفعها، لكني أنا في وقتها أكونُ سارحًا بعينَيها كقطيع من الأغنام.

توقفتُ هنا بعض الشيء لأنه كان لابد لي من إعطاء جواب للنادل المنتظرِ سماع إجابتي على سؤالهِ منذ حوالي الدقيقتين؛ ألم تعد بحاجة شيء؟ أجبته ثانيةً لاحقًا. ففي أثناء محادثتي مع النادل، قام عقلي بإجراء مكالمة هاتفية لي، لكن في كل مرة كان يُهاتفني فيها كان يتلقى بإني مشغول.

فذهب وهاتف قلمي وأخبره بأن يخبرني أن ظهورَ النادل الملفت يتشابهُ جمالًا مع ظهورها في كل مرة. فقمتُ أنا بدوري باستقبال الرسالة والبدءِ بربطِها بالنص، فعدتُ للكتابةِ كاتبًا: لأنك كنتِ حينها كبطل الأفلام الذي يسلب دائمًا الأنظار في ظهوره الملفت عندما يُلقي القبضَ على اللص الهارب. من الممكن أن يكون موقفي هناك هو ذلك اللص الذي يُلقى القبض عليه والذي يتم إشباعه ضربًا من البطل، أو كان دوري هو تلكَ الفتاة التي تتفاجأ بمدى قوة البطل الخارقة عندما يُبرح اللص ضربًا أو ربما المرأة العجوز التي تم سرقتها والتي لم تلحق بشكر البطل بسبب اختفائه السريع. أنا كل الأشخاص التي لا تُلاحظ وأنت كل الملاحظات التي تُسجل على جدولِ مواعيد الرؤساء والملوك.

وضعتُ نقطة نهاية اللانهاية وابتسمتُ في وجهي، ثم ناديتُ النادل لكي يحضر لي كوبًا من الشاي الذي لم أتذوق طعمهُ من قبل.
وأنا في انتظارِ تجهيز الشاي وإحضاره، كنتُ أراقب المشاة من خلف زجاج المكان. وفي أثناء المراقبة توقف زوجان على باب المكان المسجل مسبقًا على دفتر ملاحظاتهم ووجوههم أنه ينبغي عليهم التواجد فيه. أخرج الزوج دفتر الملاحظات من حقيبة زوجته الكتفية التي كان هو حاملها.

وهو في تفقد العنوان، صرخت زوجته: "نعم، نحن ذا في المكان الصحيح"، رفع الزوج عينَيه وإذا بالجميع على الطاولة خلفي يلوّحون بأيديهم لهم.

دخلا بسرعة اللهفة لاستلام الكأس، وصلا إلى الطاولة المطلوبة ومن ثم قاموا بإلقاء السلام على الجميع وجلسا مقابل بعضهما. "كيف الحال؟"، تم السؤال و"بخير" رد الجميع. بعد ذلك قامت واحدة من الجالسين بإعطاء هديةً للزوجة، تفاجأت الزوجة من الشيء المنتظر كسارقٍ فوجئ من سرقة البنك عندما قرأ عنوان الجريدة بأن البنك الذي سرقه قد سُرق. فتحت الزوجة الهدية فكانت كتابًا من كتبها المفضلة. استلمت الزوجة الهدية وأمنت أنها

لن تكون الوحيدة التي جلبت هدية، بعدها أشارت لزوجها وإذا به يقوم بإخراج عبوة من النبيذ واعطائها للزوجِ الآخر.
وأنا في انتظارِ ردة فعله، انسكب عليّ كوبُ الشاي الذي لم أتذوقه من قبل، عندما شعر النادل بحرارة الكوب من كثرةِ سخونته.

مملوءٌ بالشاي ومملوءٌ بالحيرةِ حول ردة فعل الزوج الثاني. اعتذر النادل على ما قام به وأنا بدوري تقبلت الاعتذار. سألني إن كنتُ بحاجة شيء آخر. أجبته: "لا، فأنا أنوي الرحيل".

استدار وذهب إلى الداخل، وأنا لبست معطفي وتعاقدتُ مع اللفحة مجددًا واستقبل كتفي بعد ذلك الحقيبة. توجهتُ إلى الباب وشعورُ الاشتياق بدأ بالاستنشاق.

قبضتُ مقبضَ الباب الصحيح، وفتحته ثم نظرتُ للخلف مودعًا المكان بآخرِ نظرةٍ. أغلقتُ البابَ وسرتُ إلى منزلي المشتاق لصوتِ حذائي المهمل ولصوتِ صمتي الممل. وصلتُ البيتَ وأجريتُ كل الروتين الواجب علي القيام به. ناداني سريري فلبيتُ النداء. ذهبتُ إليه وتمددتُ من بعدِ يومٍ قاتلٍ للفراغ. أخذتُ وضعيتي النومية وأغمضتُ عينيَّ.

الخيبة ١

لم أنسَ وضع طلاء الأظافر والكحلة وبعضًا من اللون الزهري على الخدين. لم أنسَ رش العطر المهدى لي وارتداء الفستان الأحمر الفاتح اللافت للأنظار. لم أنسَ حذائي المرتفع تحت السرير ولا وضع العقد على رقبتي. بعد عدم النسيان المتكرر نظرتُ إلى نفسي في المرآة وإذا بها مبتسمةً في وجهي معبرةً عن مدى جمالي. أطفأت أنوار البيت وأغلقت الباب ورائي ثم فتحت الباب الذي أوصلني إلى هنا.

استمتعت ذاك اليوم. لم أجد نفسي حينها. كل شيء كان لا شيء. لم أكن هناك عندما سحب الكرسي وقال لي تفضلي يا سيدتي بالجلوس، ثم ذهب لكي يجلس أمام اللاموجود. نظر إليَّ بتمعن كالذي يبحث عن الاختلاف بين صورتين وتفوه: "أمساؤك سعيد؟"، هزتان من الرأس للتعبير عن النعم. نظر حوله ومن ثم أخبرني بأن فستاني الأحمر جميلٌ جدًا. تكهمرت مع ابتسامة مزيفة ورددت عليه: "إنه أحمر فاتح ليس أحمر". اعتذر وتحجج بإضاءة المكان. نظرت إليه تعبيرًا عن فهم موقفه.

سألني: "ألا تريدين أن تشربي شيئًا؟"، أجبته: "بلى". نادى النادل وطلب منه إحضار كوبين من القهوةِ السادة. لكي لا يضيع الوقت، سألني: "ما رأيكُ بالحب؟"، أجبت: "وصالٌ بينَ شخصين، قلباهما اجتمعا بنفس المكان".

تهميرةٌ بمعنى فاجأتِني، ثم صمت منتظراً سؤالي وأنت؟، لكنني لم أسأله حينها، فكان لابد له من كسرِ صمته بسؤالٍ عن الطقس. "الجو جميل" هذا ما قلت فقط! ثم قال: "هذا ما أظنه أيضًا، فهذه الليلة هي أجمل ليلة أمر بها"، واضعًا على ما يظن الشك فيّ. أنا عدتُ إلى تجاهلي وعدم سؤالي عن ما يريد أن يُسأل عنه.

جاء النادل معه كوبَا القهوة. وضعهما ثم رحل. انتظر مني أول رشفة، لكي يبادر هو أيضًا بها. وضعتُ فنجاني وقلت: "ألا يبدو لك بأن المكان هادئ؟"، أجاب: "بلى، هكذا أفضل، سنكون قادرين على سماع بعضنا بوضوح أكثر". قلت: "بالتأكيد"، ثم سألت: "ما رأيك بالقهوة؟"، أجاب: "لذيذة بعض الشيء، وأنتِ؟"، أجبت: "ليست بسيئة".

صمتنا كلامياً لكن نظراتنا لم تكف عن العبث والإزعاج. لم أرَ بريقًا كبريقِ لمعةِ انعكاس نظرتي في عينَيه. كُنتُ أريد القفزَ والجلوسَ بهن. متأملةً بنفسي من خلالِ عينَيه.
لم يكسر هذا التأمل إلا سؤاله الذي كان: "أتدرينَ ما السبب وراءَ دعوتي؟"، أجبت بالحيرة المفسرة: "لا".

قال: "أنا دعوتك لكي أُخبركِ بمدى روعةِ جمالكِ ولكي أقول لكِ بأنني أح.....".

"مرحبًا، كيفَ الحال؟ لمدة طويلة لم نرَ بعضنا البعض بها". اشتعلتُ من غضبي عندما قامَ وسلمَ على صديقه القديم ودعاه هو وزوجته للمكوثِ معنا على الطاولة. قبلا الدعوة بكامل السرور، فكان لابد لي من تدبيرِ حجةً لكي أذهب بها إلى البيت ولكي أهرب من فشلي. فقمتُ بإرسالِ رسالةً نصية لصديقتي بعنوان: "هاتفيني واطلبي مني المجيء لكِ، وكأنك بحالة صحية حرجة".

"ألا تريد تعريفنا على من تصاحبك؟"، أجاب: "نعم، بالتأكيد، إنها...".

"ألو، ماذا تقولين! أنا قادمةٌ فورًا". "أعتذر، فأنا يجب عليّ الذهاب لأن صديقتي بحالةٍ حرجة، وبحاجة إلى مساعدتي". قمت مسرعةً، وإذ به يلحقُ بي يريدُ إيصالي. أجبته: "لا، ما عليك، سأستقل سيارة أجرة وسأكون قادرةً على تدبيرِ نفسي". عادَ إلى الطاولة في نفس الحين الذي استقللتُ فيه السيارة. مسافة الطريق وكنتُ أمسك المفتاح في يدي محاولةً فتح باب البيت. فتحته ودخلت.

خلعتُ حذائي المرتفع ووضعتهُ تحتَ السرير، وخلعتُ العقد من رقبتي. وضعتُ الفستان الأحمر الفاتح اللافت للأنظار في الخزانة. غسلتُ وجهي وأزلتُ اللون الزهري من الخدين، والكحلة عن العينين وطلاء الأظافر عنهن. لكن بقيت خطوة لن أقوم بها؛ وهي عدم إزالة العطر المُهدى. رسالةَ شُكرٍ إلى صديقتي المنقذة، و"على الرحب" كانت رسالةُ الرد عندما استيقظتُ صباحًا لرؤيتها مع رسالةٍ منه.

الخيبة ٢

لم أحظَ بالوقت الكافي ولم تسر الرياح بما يشتهي المجداف. حتى أنا كذلك قلت عندما انتهيت من قراءة رسالته. "لم نحظَ بالوقت فسنعيد الأيام"، هكذا كانت رسالة الرد.

مثل أي بداية يوم سارت الأحداث. شرب القهوة العادية والمعتادة، قراءة بعض الصفحات من الروايةِ اللانهائية، سماع الأغاني الليلية. تلقيتُ بعد ذلك رسالةً بعنوان "العنوان".

بحثتُ عنه واستنتجتُ بأنهُ مكانٌ جيد. لكن كم الزمان؟ أرسلت! تلقيت: "بما أننا نريد إعادة الأيام، فلتبقَ الأيام على حالها".

كالليلة الماضية جهزتُ نفسي، لكن باختلافٍ بسيط وهو ارتداء الفستان الأزرق النيلي المرصع ببعض الألماس حول العنق الذي لم يُحجني لوضعِ العقد حول عنقي. رشة من العطر من بعدِ ما كنت قد أخرجتُ حذائي المرتفع، ومن بعدها ناظرتُ المرآة لكي تُغازلني كالعادة.

من الجالس هناك؟ أهذا هو؟ انتظرتُ قليلًا لكي يلتفت وأستوضح من الجالس. لا، لا، ليسَ هو. دخلتُ المكان واتخذتُ طاولةً في المنتصف مركزًا لنظراتي المُراقِبة.

جاء النادل بعد مدة وجيزة من الجلوس وسألني عن ما أريد، أجبت: "أنا بانتظاره شخص، سأطلب ما أُريد متى يصل".
أقطع الوقت متسليةً باللعب على الهاتف تارة وبمرافقة من حوالي والمارة تارةً أخرى.

سئمتُ من وضع الانتظار وأرسلت رسالةً معبرةً عن الاحتيار:
"كم الوقتُ في ساعتك" تم الإرسال، لكن بعد خمس دقائق لم أتلقَ أي جواب، فعدتُ للمراسلة وأرسلت: "ألا تنوي القدوم؟".
"بلى أنوي القدوم" كان الصوت قادمًا من خلفي.
"لِم كلُ هذا التأخير؟" على الفور سألت.
أجاب: "تعطلت معي السيارة، وكان لابد لي من إصلاحها".
"ورسائلي؟" قلت مع وجهٍ متسائل! ... أجاب: "لم انتبه لهن!".
"لا بأس إذًا، كيف حالك؟" سألت محاولةً بدء موضوع جديد.
"بخير وأنتِ؟"، "أنا أيضًا بخير مع عودة الأيام".
"ماذا تريدين أن تشربي؟"، "كالمرة السابقة".

نادى النادل وطلب منه إحضار كوبين من القهوة السادة.
"فستانٌ جميل" صرّح، "شكرًا" قلت.
"أعتذر عن ما حصل في المرةِ السابقة من قدومِ صديقي القديم وزوجته".
"لا عليك" كان ردي!.
"كنتُ أريدُ أن أقول لكِ في المرة السابقة بأن رائحة العطر جذابة لكني لم أتمكن من قولها، وهي اليوم الأمر ذاته".
"أجل أنها هدية من صديقتي، حصلتُ عليها في عيد ميلادي".

جاءت القهوة لكنها ليست وحدها، بل مع النادل. وضعها ثم رحل. شربَ من دون انتظار أول رشفةٍ مني كالمرةِ السابقة. لم أبالِ وأخذتُ إرثي من الفنجان.
قال: "أُريدُ أن أُخبركِ بأنني لا أملكُ الوقتَ الكافي لمجالستكِ، لأنه يجب علي العودة لمنزلي لأن زوجتي أنجبت منذُ أسبوع، وأريدُ أن أكون بجانبها اليوم".

لم يتحرك شيءٌ فيَّ وحتى قلبي لملمَ أمتعته ورحل مني، بقيتُ شجرةً إلا حين قال: "كنتُ أريدُ أن أقولَ لكِ شيئًا بالمرة السابقة لكن ظهور صديقي المفاجئ منعني من قوله".

قلتُ: "نعم، بلى"، منتظرةً تبريرًا لِما حصل وما سيحصل.
قال: "أحمل معي لكِ رسالةً من أخيك المغترب".
قلت: "أحمل .. وأخي!! أخي المنقطعة أخباره منذ عشرِ سنين".
قال: "لا أدري، لكنه أوصاني بأن أُعطيكِ إياها". "أين هي" ..
"هنا" .. "شكرًا" ثم رحلت.
لم أرَ شيئًا أمامي حينها. مشيًا على الأقدام سرتُ إلى بيتي. كُل شيءٍ حولي كانَ صامتًا. وصلتُ إلى البيت، ونمتُ كما أنا.

الخيبة ٣

لم أشعر بأنني قد فوّتُ نصف نهاري وأنا غارقةً بالنوم، هاربةً من الخيبات المتلاحقة. استيقظتُ من نومي الهروبي، ثم أمسكتُ هاتفي كأول خطوة أفعلها بعد الاستيقاظ. ضغطتُ على زر التشغيل، فلم تضئ الشاشة. حاولتُ مجددًا، كذلك لم ينفع الأمر. فقمت بإيصال الشاحن بالهاتف، وانتظرت بضع دقائق لكي يعمل.

لم أكن أنا آنذاك، كنتُ غيري. لم أتمكن من قول ما كنت أريد حقيقةً قوله. سحر عيناكِ، نفحةُ عطركِ ولصوص أحرفكِ سرقوا مني كل الكلمات. كنتُ بَخِلًا حينها ولم أقدر على نطق ما أريده.
نظرةٌ مني على الرسالة في شاشة الهاتف. كيف لهذا الرجل أن يتسكع مع شركات الهواتف بهذا الحد. البارحة قمت بحظره واليوم يراسلني من رقمٍ جديد. مسحتُ الرسالة من شاشة الهاتف ولم أقم بفتحها.

نهضتُ من فراشي وتوجهت لكي أغسل وجهي. وقفتُ أمام المغسلة وناظرتُ نفسي في المرآة. فكرتُ بما قال ولم أجد ما يدفعني لرد الرسالة.

غسلتُ وجهي وذهبت بعدها لتحضير الفطار والغداء، فالساعة الآن الثالثة ظهرًا. أمسكت بعلبة الكورنفلكس الماثلة فوق البراد. فأنا لستُ بمزاجٍ يدفعني لتخريب المطبخ. أحضرت بعدها وعاء ومن ثم الحليب.

هل حقًا سحر عينيّ فعل به هكذا؟ هل العطر كان زهايمري لكي يُنسيه ما يجول بفكره؟ هل ربما ...

"أين وضعتِ قطعة القماش آخر مرة؟" سألتُ نفسي! لأنني وبكل فخر نسيت بأنني في حالة سكبٍ للحليب عندما كنت شاردة البال أفكر به. مسحتُ كل الخراب، وجلستُ لكي آكل. طعم الحليب الزائد لذيذ بعض الشيء.

اليوم هو يومٌ جديد، والبارحة أصبح مستعملًا، وغدًا ما زال يُصنع. من الذي يستحق منا أن نملكه من هؤلاء؟ اليوم أم البارحة أم غدًا؟ قرأتُ الرسالة مفكرةً ومتسائلة، من الذي يستحق أن نملكه حقًا؟

الماءُ حار، سأقلب الصنبور إلى الماء الفاتر. غسلتُ الوعاء وذهبت لمخدعي بجانب الكتب غير المقروءَة، وأمام التلفاز الصامت وخلف الحائط.
حسنًا، غدًا هو الذي يستحق أن نملكه. مع إشعار تم الإرسال تكلم التلفاز. أغنية لكاظم الساهر جعلتني أشرد معها. "ماتت بمحرابِ عينيكِ ابتهالاتي واستسلمت لرياح اليأس راياتي".

غيرتُ وضعيتي إلى الجانب الآخر عندما قال: "معذورةٌ أنتِ إن أجهضتِ لي أملي، لا الذنب ذنبك بل كانت حماقاتي". ثم، "إذًا ستمسي بلا ليلى حكاياتي" كانت النهاية. صمت التلفاز مجددًا عندما لاحظت رسالته، كيف سيكون حالُ غدًا إذًا؟

في الحديقة الجانبية لمركز المدينة، ثالث مقعد من اليمين، في تمام الساعة الخامسة سأكون هناك، تم الإرسال واستقبلتُ بعدها "إلى اللقاء!".

غدًا، أليس ببعيد، أربع وعشرين ساعة انتظار، لا لن أقدر عليهن. سأكون هناك في الساعة الخامسة اليوم، هل يمكنك المجيء؟ نعم بالفعل يمكنني، سنلتقي بعد ساعة إذًا!

ساعة أمامي لكي أُجهز نفسي أو لا لن أُجهزها. لا حذاء ولا عطر ولا فستان ولا أي طلاء أظافر. سأذهب إليه بجامتي النومية وشعري الملفوف كالملفوف وعينيّ الذابلات. سأذهب لكي أُعاقبه على كل الخيبات التي حصلت.
المكان يبعد نصف ساعة، والآن هي الرابعة والربع! سأستمع لأغنية ماجدة "بالقلب خليك"، ومن ثم أرتب سريري وأنطلق.
كعادته إمبراطور بالتأخير، أين يمكنه أن يكون. الحديقة، جانب مركز المدينة في الجهة اليسرى.

ذهبت لكي أراسله بأين هو، فاكتشفت أنني بالمكان الخطأ، فأنا أخبرته ثالث مقعد في الجهة اليمنى. حملت نفسي وسارعت إليه.
-"أتحاولين رد تأخيري البارحة بتأخيرك اليوم؟".
-"لا، أنا فقط كنتُ بالجانب الآخر من الحديقة".
-"كيف حالك؟".
-"بخير، وأنت؟".
-"أيضًا بخير. هل سُرقتِ البارحة؟"، سأل بنظرةِ استفسار غريبة.
-"لا"، أجبت .. و"لماذا؟" سألت.

-"لا شيء، ففي الأيام الراحلة كنتِ بفستان وعطر وطلاء وجمال وفتنة، اليوم لا أرى كل هذا".
-"قررتُ المجيء بهذا الشكل لأنني لم أستطع تجهيز نفسي بالشكل اللائق، أليس جميلًا؟".
-"جميل"، قال مع هزة رأس وزم شفاهه.
-"ربما في اللقائين الفائتين لم أستطع أخبارك بما أحمله لكِ، أو ما أنوي قوله. الحقيقة هي أنني أحـ ....".
-عفوًا، هذا المكان لا يسمح لكم الجلوس فيه، يمكنكم الجلوس بمكانٍ آخر".

مشينا إلى مقعد آخر غير فاهمين لماذا، لكننا مشينا تجنبًا لمناقشة الرجل.

-"أجل، أكمل ما كنت تريد قوله".
-"أنا في الحقيقة .. أحبك!"، ربما شعور ارتياح قد حل، لكن لم يكن بكامل الراحة.

-"ألو، ماذا حل بكِ؟ أين أنتِ؟ حسنًا أنا قادمة على الفور!".

ركضتُ بسرعة إلى صديقتي التي كانت وحيدة بمنزلها وهي في حالة ولادة. نسيتُ وجوده وركضت. وصلتُ لها وأنزلتها لكي تصعد بسيارة الأجرة التي جاءت معي. وصلنا المستشفى ومن بعدها دخلت لغرفة التوليد. جلستُ على الكرسي أنتظرها، وبعدها سمعت صوت سقوط شيء في سطل الماء والصابون الذي كان بجانب الكرسي. لم أكترث، فأنا كنت بحالة توتر وعدم تركيز. عقلي كله مع صديقتي. ساعة انتظار ومن بعدها استبشرتُ بقدوم طفلٍ.

دخلتُ إليها ومن ثم سألت الطبيب إذا كانت تستطيع الذهاب لبيتها. أجابني: "ليس الآن، بعد ساعة على القليل، لكي يتشافى جرحها".

جلست معها نتحدث وكلمتها عنه وعن أنه قالها لي.

سألت: "إلا تملكين صورة له؟".

-"بلى، أملك".

وضعتُ يدي في جيبي فلم أجد شيئًا، الجيب الآخر أيضًا لا شيء. فتشتُ الغرفة فلم أجده. تذكرت الصوت الذي خرج من السطل، فسارعتُ إليه. وضعتُ يدي فيه فوجدتُ الهاتف غارقًا بالصابون. حاولتُ تشغيله فلم أتلقَ أي شيء منه. صامتًا بشاشة سوداء.

عدتُ إلى صديقتي بخيبتي الثالثة والأخيرة.

سألت: "هل وجدتيه؟".

-"نعم، لقد وجدته، لكن ميتًا. أنا لا أملك أي معلومة عنه. كل أحاديثنا كانت عبر هذا الكائن. لا أدري أين يسكن، ولا أين يدرس. كل آمالي خابت".

-"يمكنكما الرحيل"، قال الطبيب.

سقتُ صديقتي لبيتها، وبعدها ذهبتُ لبيتي بخيبةٍ جديدة من دونِ أملٍ جديد.

لانا

في صباح يومٍ مشرقٍ من بين الغيوم. استيقظت لانا ذاتُ ال٢٤ ربيعًا على صوتِ كلبها ممتزجًا بصوتِ العصافير. استيقظت منزعجةً تصرخُ: "اصمت اصمت أُيها الأحمق!".

ثم توجهت عيناها إلى الساعةِ مشاهدةً المصيبةَ المنتظرة إياها على شكلِ الساعة التاسعة. لم تصدق؟! فركت عينَيها، أعادت شعرها المنكوش إلى الوراء مستغربةً بما هي عليه، لأنه ولسوء حظها قد يفوتها موعد لقائها مع سارقِ دراجتها، لأنه على الساعة العاشرة هو سيكون بانتظارها، ومكان اللقاء يبعدُ نصف ساعة من بيتها.

تسرعُ منطلقةً إلى الحمام تغسل وجهها بالماء متناسيةً وجودَ الصابون، ثم تذهبُ متوجهةً إلى خزانتها ترتدي ثيابًا من ما قد وقعَت عينها عليه، ثم تلبسُ حذاءً عشوائيًا وتخرجُ من البيتِ متجهةً إلى محطةِ القطار.

وهي في منتصف الطريق إلى المحطة التي تستغرقُ ٨ دقائق للوصولِ إليها، نتفاجأ لانا بأنها قد ارتدت فردتَي حذاء مختلفتين. وقفت ثم ناظرت السماء ثم نعتت نفسها بالغبية.
بعد ذلك ألقت نظرة إلى ساعتها وإذ بها ال٩:٢٠، لم يتبقَ لقدومِ القطار سوى ٥ دقائق (أي بمعنى هي لا تستطع أن تعود للبيت لأنه إذا عادت وفوتت القطار فيجب عليها انتظار ٢٠ دقيقة لقدومِ الآخر).

تابعت المشي إلى المحطة، وصلت إلى المحطة قبل دقيقة من مجيءِ القطار، لكنها لم تكن الوحيدة التي بحاجة لركوبِ القطار. فكان هناك أكثرُ من خمسين شخصًا في انتظاره. جاء القطار وإذ به ممتلئٌ، ليس هنالك مكانٌ لركابٍ إضافيين. حاولت الصعود تشبثت بشكل جيد.

عند حلول وقت رحيل القطار وقبل إغلاق الأبواب بثوانٍ، تتلقى لانا دفعة ترمي بها خارج القطار الذي رحل دون انتظار.
تنظرُ إلى القطار ونيران الغضب بعينَيها. تلتفتُ حولها وإذ بشابٍ هو الآخر قد رُمي به للخارج. تتذكرُ لانا بأن عليها أن تُعلم الرجل الذي

يريد أن يبيع دراجتها بتأخرها. فتحت حقيبتها اليدوية وبحثت عن جوالها فلم تجده في الحقيبة.

تفاجأت، ثم مدت يدها لجيب بنطالها فلم تجد شيئًا، فتشت بكل جيوبها لم تجد شيئًا. فلم يتبقَ سوى أنها لم تجلبه معها أساسًا (لقد نسيتهُ في البيت).
فكرت باستعجال، ما الحل؟ .. تلفتت حولها، فلاحظت الشاب الذي أُلقي معها خارج القطار. فذهبت إليه مسرعة، حتى آخر الأمتار التي بدأت قدماها تسيرانِ بها نحجلًا.

وصلت إليه، بدأت كلامها بقول: "مرحبًا"، رد الشاب متعجبًا: "أهلًا"، فسألتهُ لانا: "أيمكنني استخدامُ هاتفك؟، إنني بحاجة إلى إجراءِ مكالمة مهمة"، أجاب ببساطة: "نعم، تفضلي".

فأمسكت بهاتفه وذهبت إلى الموقع الذي عليه الإعلان، وأخذت رقم الهاتف من هنالك، وعلى الفور هاتفت الرجل. أجاب الرجل من بعدِ ثلاث محاولات باءت بالفشل من قبلِ لانا.

أجابَ قائلًا: "ألو من معي؟"، على الفور من دونِ إفراغ الوقت لسماع صوت المتصل، فردت لانا: "أنا لانا التي تملكُ موعدًا معك

على الساعة ال١٠"، أجاب: "اتِصالك بي لأنكِ لا تريدينَ بعد الدراجة؟!"، أجابت لانا: "لا، لا هون على نفسك، أنا أريد إخبارك بأنني قد أصلُ متاخرةً عن الموعد؛ لانني فوّتُ موعد القطار".

أجاب: "ما عليكِ أنا بانتظارِ النقود"، أجابت: "حسنًا إلى اللقاء"، فأغلق الهاتف دون رد التحية.
أنهت لانا مكالمتها، ثم أعادت الهاتف لصاحبه وتشكرته على فعلته. وهي في مسيرها إلى الكرسي؛ تبرزت على قميصها الأبيض حمامة، فقالت بما تحويه من كلمات شاتمةً الحمامة.

نظرةُ استغربٍ من الشاب اختفت بابتسامة تجسدت عندما تلاقت عيناه مع لانا المبتسمة هي الأخرى. بحثت لانا عن منديل لكي تمسح القميص فلم تجد، فكان لابد لها من العودة للشاب والطلبِ منه. عادت أدراجها للشاب ثم قالت: "آسفة على الإزعاج لكن ألا تملكُ منديلًا أمسح به قميصي؟"، أجاب: "بلى"، أخرجه من جيبه وأعطاها أياه تحت شعار: "تفضلي".

أخذت لانا المنديل وردت: "شكرًا"، "عفوًا" آخر الحديث كانت.

مرت ربع ساعة ولم يتبقَ سوى خمسُ دقائق لقدومِ القطار الثاني. خمسُ دقائق كانت كفيلة بتهدئة لانا وإعادة لها الاطمئنان.

جاء القطار غير المزدحم كسابقه، ركبت بكلِ هدوء واختارت كُرسيًا بجانب النافذة، لمشاهدةِ هوامش الطريق.

تفاجأت من بعد الجلوس بلحظات بصوتٍ يسأل إن كان بإمكانه الجلوس بالكرسي المحاذي. نظرت إليه وإذ به الشاب، أبعدت حقيبتها وأفسحت له المجال بالجلوس.
"أرى أن يومكِ لا يسير على أكمل وجه"، بدأ الشابُ متحدثًا وناظرًا إلى لانا التي بالمقابل كانت تناظر نظرته. أجابت: "إلى حدٍ ما لا، كان علي ركوب القطار السابق، لأنني أملك موعدٍ على الساعة العاشرة. أما الآن فأنا متأخرة، لولا أنك كنت هناكً وأجريتُ أنا مكالمةً مع الرجل من هاتفك. وأنت ما حال يَومك؟".
فكرت ثم لم تقل شيئًا.

"إذًا بعضٌ من ألاعيب القدر جعلت من يومك جيدًا إلى حدٍ ما على حسب قولك. أعتذر على مخاطبكِ فورًا من دونِ التعريف عن نفسي، أنا إيشاك".

"وأنا لانا".
"تشرفتُ بمعرفتكِ".
"وأنا كذلك". حوارٌ قصير كان بعده صمتٌ طويل.

كانت لانا تناظر جوانب الطريق وإيشاك متأملًا بسقف القطار العجوز. بقيت محطةُ قطار واحدة تفصلُ لانا عن وجهتها، فسأل إيشاك لانا: "إلى أين وجهتك؟".

"إلى المدينة، بجانب مطعم ماكدونالدز، وأنت؟؟" سألت.
"إلى بيت صديقي" أجاب.
عبر الميكرفون سمعت لانا أنه قد جاء موعد هجر القطار وانتهاء الرحلة. توقفَ القطار ببطء، هبطت لانا وإيشاك من عليه. "حظًا موفقًا" قالا، ثم كل منهما ذهبَ في طريقه.

أسرعت لانا لملاقاة الرجل الاستغلالي. تسارعت خطواتها وتعثرت في مشيها حتى وصلت إليه.
"مرحبًا" بدأت الحوار، لكن "من أنتِ" تلقت.
-"أنا لانا، الفتاة التي تريدُ أن تشتري منك الدراجة".

-"اها" رد عليها ثم أشار إلى إحدى الدراجات، وقال: "هذه هي الدراجة!"، باغتته نظرة من عينيّ لانا المتفاجئات: "ماذا؟!، لا .. ليست هذه الدراجة التي رأيتها على الموقع، ولا حتى هي التي كنتُ أود شراءَها".

أجاب: "هذه التي أريدُ بيعها!".

نظرت لانا باحثة، عن دراجتها بين الدراجات ووجدتها في الصف الأخير. تقدمت نحوها وسألته: "كم ثمن هذه الدراجة؟".
أجاب: "مبلغٌ من المال لن تقدري على دفعه"، فسألته نفس السؤال وأجاب: "هذه ثمنها ضعف ثمن الأولى".

-"حسنًا إذًا سآخذها، لكن عليّ أولًا أن أجربها لكي أتحقق من إنها مناسبة". لم يبالِ بالأمر كثيرًا، ولم يشك بمصداقيتها، و"حسنًا" أجاب على طلبها.

أخذت لانا مفتاح الدراجة وركبت بها، وعنوانُ اللارجوع كان مقدمة رحلتها إلى البيت. مع كُلِّ إشارةِ مرورٍ تقفُ عليها كانت تنظرُ خلفها إن كان الرجل يتبعها أم لا، وكانت تفقدُ أعصابها إذا طال الانتظار.

وهي في قطعها للشارع الذي سينقلها إلى الطرف الآخر من المدينة والذي سيقربها من بيتها، اصطدمت بشابٍ كان يركض تاركًا إشارة ملطخة بالأحمر، بينما كانت هي تنظرُ خلفها مراقبةً إذا كان أحدٌ يراقبها.

-"أأنت على ما يرام؟" سألت. "نعم يا لانا أنا على ما يرام" أجاب.
-"من؟ إيشاك!"، "نعم" أجاب.
-"أنا آسفة، لم أنتبه لقدومك، كنتُ أنظر للخلف".
-"لا عليكِ، لم يحدث شيء".
-"متأكد؟" سألت، "بكل تأكيد" أجاب.

ركبت الدراجة وأكملت طريقها، ناسيةً قول وداعًا للشاب.

وصلت بيتها ووضعت دراجتها في حديقةِ المنزل، تاركةً الرجل يقاتل نفسه لأنه تركها ترحل من دون إيداع أي شيءٍ يضمنُ عودتها. دخلت إلى بيتها وجلست على أقرب مكانٍ يمكّنها الجلوس عليه. جلست وتنفست الصعداء منتشيةً بالانتصار المنتظر.
ذهبت بعد الاحتفال الذاتي بالانتصار للاستحمام وتغيير الملابس، ومن ثم قدمت إلى المطبخ لتجهيز إفطار الانتصار. وضعت مائدة الطعام وبدأت بشرب الحليب.

أسما

"أعرف اليوم الذي سنلتقي فيه، لكن في أي يومٍ سنلتقي؟"، كانت آخر رسالة أرسلتها أسما.

في يومٍ قد كان فيه الفرحُ سجينًا لدى الغياب، والحزنُ طليقًا كالذئاب، اتصل رجلٌ إلى البيت لكي يطمئن على الحزن، ولكي يرى ما إن كان قد قام بعمله أم لا.

مع ترتيل المتصل لكلماته الشيطانية كان لا بد لي من فك الانفصال بين السماعة وقاعدة الهاتف. ذهبت بعدها إلى من كان موجودًا لمناقشةٍ أو لإكمال التفسيرات المؤدية لذلك.
"كيف يمكن لها أن ترحل من غير إذن أو من غير إعلام؟!"، كان تصريح أخيها المفعم بالانفعال.

لا، لا لم يكن المشهد هكذا، أغلقت الهاتف، ومن ثم ذهبت، لا لم أذهب، جلست بجانب أو على الكرسي بجانب الهاتف منتظرةً اتصال الفرح.

جمعتُ أحداثي السعيدة وبدأت بعرضهن.

يوم ولادتها:

على الرغم من وجعه، ومن عدم إيجاد الحظ، ومن بعد سلسلة الأحداث غير المرغوبة، كالشعور بالألم، وأنا في صلاتي، ومن ثم التأخير في إيجاد سيارة للوصول للمستشفى وبعدها الانتظار مع الألم لإفراغ إحدى الغرف.

مع كل هذه الأحداث كان أجمل الأيام، وُلدتُ معها لحظتها، نسيتُ كل الأوجاع والخيبات وبكيتُ من شدة ألم الفرح. كان يومًا جديدًا يحمل طابع الجهاد. لم أسلم من الحب ومن غزو القبلات.

يومُ الميلاد الأول أو إن صح القول يوم الميلادات:

لم أشعر إلا بعدي للسنوات، لم أكن أراها تكبر، كانت دائمًا أصغر المخلوقات. جعلتُ من أعيادِ ميلادها تقويمًا لبدء أحداث وصنع ذكريات لم تُصنع من قبل. كُل سنةٍ كانت تنتهي جعلتُ منها سنةً عجيفة مقابل السنة التي كانت تليها. لم أفوت عنها شيئًا من الذهاب للسينما والسفر لأماكن ليست بمأهولة من قبلنا سابقًا، من صنع السعادة الذاتية حتى مع أتفه الأمور، كالجري كالطفل ورائها حين

تسكب الماء أو إعطائها الشوكولا بعد بكاء مصطنع. لم أفوت عنها شيئًا.

التخرج:
الفرح الحزين. هو فرحٌ لأنها كانت دائمًا تتخطى المراحل الدراسية وكأنها تعلم سابقًا ما تحتويها. كانت دائمًا الأنثى التي تسعى وراء نفسها، لم أسدد لمرماها الكثير من النصائح آن ذاك. كانت متفوقة. بينما الحزن فيه، هو أنها ستفقد الكثير من أصدقائها وستتغير مسارات حياتها واهتماماتها. انشغلت بشرح الفرح والحزن ونسيت يوم التخرج نفسه.

في ذلك اليوم كنتُ أنا وهي فقط في قاعة استلام الشهادات. أراقبها تخطو بين الحضور لكي تلبي نداء أحد أساتذتها لاستلام الشهادة. متلئلئة عيناي ووضعتُ يدي التي تحتها قاعدة حديدة تسندها على خدي الذي ينتمي للرأس المائل، مشاهدةً استشهادها. انتهينا من كل أمور الجامعة، ثم أخذتُ بها إلى أبيها لكي يكرمها هو الآخر بسماع الفاتحة منها.
أنا ذهبتُ إلى البيت وهي ذهبت إلى البيت الخاص بالمتخرجين.

آخر أسبوع قبل آخر رسالة:
كان أسبوعًا من ثلاثة أيام. لم أشعر بزخمه وضجيجه ولا باصطفاف سيارات شكاويها على طوارئ. كان أسبوعًا عاديًا على حسب تقديري الحالي.
كانت فيه أنثى روتينية. الاستيقاظ صباحًا، ثم الانشغال بترتيب الخروج للعمل، ثم الانشغال بتخريب ترتيب الخروج من العمل بالرجوع منه. لم توجد هالاتٌ تحت العيون ولا اصفرار وجه ولا نقصان وزن. كُل شيء كان عاديًا.

لم تغفل أبدًا بمساعدتي في تنظيف البيت، وتذكيري بأخذ الدواء. لم أشعر بجراح، إلا عندما توقفت المعركة وانتهت.
ما أنا فيه حاليًا يسمى بنهاية المعركة. جالسة أُرتب قدرها.

رن الهاتفُ فجأةً وإذ بالفرح متصلًا يبشرني بانتصار الحزن عليه. آخر رسالةٍ من أسما كانت للروح أسما.
هي الآن تعرف اليوم الذي سنلتقي فيه، لكن في أي يومٍ سنلتقي.

أسما ٢

منذ حينِها وأنا في حينِها عالق في الزمكان الذي وضعتني به. بقيتُ أشاهدُ مكان جلوسها، أعيد مشهد رحيلها، وكلما انتهى أُرجِعُ تشغيله من البداية. جعلتني أفكر بها ناسيًا أنني أفكرُ بها. ألغت نظرية الأيام، لأن الزمان قد وقف حينها، فمنذُ حينِها وأنا في حينِها عالق بالإلحاد المزمن بين ما حدث وما سيحدث.

أنا قُيدتُ في حينِها وهي في حينِها أعلنت رحيلها. أنا في حينِها أغلقت كتب التاريخ وهي بدأت بكتابته. نسيتُ نفسي آنذاك هناك. ما سمعته عن يوم القيامة والأحداث التي ستحدث به، شعرتُ وأني قد عشته قبل أوانه. فمنذ حينِها وأنا أخوض أحداث يوم قيامةِ رحيلها. كل شيءٍ تجسد حينِها. شروق الشمس من المغرب، ظهور يأجوج ومأجوج مع المسيح الدجال. كنت في ريبٍ مما سيحدث، من الذي سينقذني؟! هل سيظهر المهدي وينزل عيسى من السماء أم سأكونُ واحدًا من أتباعِ الدجال.

تعب قلمي، فقررتُ التوقف عن الكتابة والذهاب لتجهيز كوب الشاي الذي كان مفضلًا، وفي أثناء سيري إلى المطبخ تعثر نظري بلوحةِ "فان خوخ" المتصدرة فوق حائط الصالون. توقفتُ عندها، وتذكرتُ حديثها آنذاك عن قصته. يملك أخًا ميتًا، وُلدَ يوم مولده. فظن بأنه كان ولدًا بديلًا، وجاء ليلعب دور غيره. تكلمت أيضًا عن أعماله ولوحاته اللواتي لا أذكر منها سوى (دوار الشمس) إلى حدٍ ما. وأكثر شيء جال في خاطري لحظة التوقف، هو مقولته الأخيرة قبل انتحاره (الحزن يدوم إلى الأبد). تابعتُ المسير إلى المطبخ والجملة تجول بصندوقي الفكري.

-هل حزني عليها سيدوم إلى الأبد؟ هل موتي سيكون على يديّ؟ هل الكآبة ستسيطر عليّ؟

ما هذه الأفكار المشئومة! انتهيت من تجهيز كوب الشاي، وذهبت لغرفتي أو ربما الصالون، المهم هو أنني ذهبت إلى مكانٍ جلستُ فيه، أُفكر باليوم الذي سنلتقي فيه. هل هو يوم من أيام الأسبوع؟ هل سنلتقي أم بالفعل نحن التقينا؟ هل سيكون اليوم هو يوم الميعاد؟ أي يوم سنلتقي؟

أمسكتُ هاتفي كعادتي وبدأتُ بمحاولات الاتصال بها. أول مرة، ثاني مرة، ثالث مرة، رابع مرة، ثم لا شيء. الخيبة المنتظرة أتلقاها بروحٍ رياضية في كلِّ مرة. تعدت الساعة العاشرة وقد حان موعد نومي مع أمنيتي اليومية:

(أنا أريد منها إجابة واحدة على سؤالي: لماذا رحلتِ؟).

لما

بقلم: أسما إدريس

عندما تم الإسراع للحاق بالبواقي، سقطت غيثية من البواقي. تعطل الحال وأصبح علينا السير مع المحال. الاتجاه كان نحو ما كان مخططًا من قبل. على الساعة الثامنة اجتمع من كان يجب عليه أن يكون هناك.

"مرحبًا" قالت الآنسة رؤى للأشخاص الذين تمت دعوتهم من قبلها، عندما كانت تبحث على موقع الفيسبوك عن أشخاص يملكون قصصًا غيرت بعض الشيء من حياتهم أو عن ذكرى بصمت فيها.

بعد الترحيب عرفت عن نفسها:
-"أنا رؤى، الشخص الذي قام بدعوتكم للحضور. أملك شهادة بعلم النفس والفلسفة، عمري السابع والعشرين. وأخيرًا أحب الاختلاط مع الناس والمشاركة ببعض القصص معهم. الآن حان دوركم لكي نتعرفون على بعض أو الأفضل أنا من سيقوم بذلك.

بدايةً من هنا: عبير، ثمان عشرة سنة، تدرس بالسنة الأولى بكلية الحقوق، وتملك بعض المواهب بالرسم ونشر السعادة بين الأصدقاء والمقربين.

ثانيًا: باسم، تسع عشرة سنة، يدرس بالسنة الثانية بكلية الاقتصاد، ويملك وقتًا كافيًا لكي يمارس الغناء والعزف على البيانو وبعضًا من الرقص.

ثالثًا: سوسن، تسع عشرة سنة، تدرس بالسنة الثانية بكلية رياض الأطفال، وتملك ما تفعله في وقت فراغها؛ كالذهاب لبعض دور الأيتام واللعب مع الأطفال، وهي أيضًا رسامة مخضرمة.

رابعًا وأخيرًا: كمال عشرين سنة، يدرس بالسنة الثانية ومتخصص في الفيزياء، درس مسبقًا العلوم السياسة لكنه لم يوفق في السنة الأولى فقرر تغيير المجال. هو مخترع مشاغب ويبعثر دائمًا بيته من وراء أفعاله الإبليسية، ورغم ذلك هو كاتبٌ مبدع.

الاختلاف الملحوظ الذي يضيء أعينكم جاء من خلف؛ هو أنني حاولتُ بكل جهدٍ تجميعكم من بين عشرات المتقدمين. رأيتُ الاختلاف فيكم فقررت تجميعكم.

أنا أطلتُ بالحديث، الآن وقتُ الاستماع لقصصكم المشوقة التي رفضت أن أقرأها وفضلتُ سماعها منكم.

-مرحبًا، أنا عبير كما تم التعريف مسبقًا. سأتكلم عن قصة حدثت معي أو موقفٍ. عندما كان عمري خمسة عشر سنة وخمسة أشهر. تعلمت اليوم مهارة جديدة، استطعت أن أصفر بأصابعي. أنا سعيدة، الآن أستطيع أن أصفر أينما كنت، ومتى ما أريد.

-أمي، أبي شاهدا ماذا تعلمت ...

حينها استطعت أن أصفر صافرة دوّت في جميع أنحاء المنزل ولكن أبي وأمي منعوني أن أكرر هذا. أووه!! لقد استقبلت للتو كفًا زرع على خدي من قبل أمي. أبي صرخ قائلًا في وجهي: "إياكِ وإعادتها مرة أخرى، لا يوجد لدينا فتيات تطلق الصافرة".

ها أنا في سرير، صوت أبي يهز غشاء طبل أذني لا يوجد لدينا فتيات تطلق الصافرة، لا يوجد لدينا فتيات تطلق، لا يوجد لدينا فتيات، لا يوجد لدينا، لا يوجد، لا بل نعم يوجد. هذا هو الموقف الذي من بعده بدأت بالتحقيق حول جريمة تفضيل الذكر دائمًا من دون الأنثى. شكرًا لاستماعكم.

أنا بدأت الإثارة تتغلغل بجسدي. أرعبتِ عقلي بما قلتِ. سمعنا قصة عبير التي حصلتها من بعدها على قضية جديدة في مشوارها مع الإجرام.

-باسم، لك الكلمة.
-مرحبًا، أنا باسم، عمري أربعة عشر سنة، في هذا المساء شاهدت مقطع فيديو على الإنترنت لراقص شاب أمريكي، أذهل برنامج المواهب في بريطانيا، أعترف أن رقصه ملأ قلبي بالشغف لكي أتعلم الرقص، في منتصف الليل لم أستطع النوم، بدأ حدسي الخيالي يتخيل أشياء كثيرة ...

باسم الآن أمامه آلاف المشاهدين، باسم يقفز، باسم يقف على يديه، باسم سقط، باسم عاد إلى عالمه الحقيقي. استيقظت في اليوم التالي، ألقيت الصباح على جدتي، لم أخبرها بما سأفعل اليوم. عند عودتي سأقول لها. خرجت أتجول في شوارع مدينتي بحثًا على نادٍ للرقص فلم أجد، لكن في النهاية وجدته.

من شدة فرحي أكاد أسقط أرضًا، دخلت إليه مفعمًا بكل أمل وحيوية، متأملًا الكثير من الأشياء.

في الاستقبال كانت هناك امرأة في الأربعين من العمر، ورجل بلغ الثلاثين أو لا أعلم ...

-مرحبا، هنا نادي الرقص، أليس كذلك؟!

-نعم، وهل لديك أحد تنتظره أو تريد أن تسجل أحدًا ما؟

-لا، ليس لدي أحد أنتظره ولكن هل هناك أعمار محددة للتسجيل؟

-نعم، نحن نقبل من سن السادسة إلى سن السابعة عشر.

-أيمكنني إذن أخد استمارة تسجيل؟

-نعم، تفضل.

أخذت الاستمارة وملأتها. غريب الأمر، لم يكن هناك سؤال "ما نوع جنسي"!، لم أكترث وسلمت الاستمارة للرجل.

-تفضل، هذه الاستمارة يا سيدي ...

-باسم!!

قالها وكأن نارًا حامية أحرقت وجهه.

-نعم!!

عندها التفت نحو المرأة الحمقاء وقال:

-انظري، هذا الفتى يريد أن يرقص ويهز خصره ....

المرأة قالت:
-أحقًا! أرِني.
تناولت الورقة من يد الرجل وقالت:
-ما هذا الزمن الذي وصلنا إليه! صبي يريد تعلم الرقص كالفتيات!! حقًا أصبح عالمنا مليئ بالشواذ.
-اذهب يا بُني لا يوجد مكان شاغر لك.
لم أكترث بما قالوه، وسأكمل البحث عن نادٍ آخر لتعلم رقص البوب.

"شواذ"!! ولكن ماذا تعني تلك الكلمة؟ أعتقد أن لها علاقة بالأفعال الإنجليزية الشاذة، وتلك الجملة "صبي يهز خصره" يا إلهي!! ما هذه المصطلحات النابية ...

أنا الآن في منزل جدتي أمامي حاسوبي، محرك البحث مشغول بالبحث عن "ماذا تعني كلمة شواذ؟"، أخيرًا ظهر في العنوان:
"شاذ: أي شخص من جنس ذكري ينجذب لأفراد من نفس الجنس، يتصرف كالفتيات، يميل للأشياء الأنثوية بكثرة، ويميل...".

لم أستطع أن أكمل القراءة. بدأ جسمي يسخن ويرجف، اليوم لأول مرة تم نعتي بالشاذ. أنا الآن شاذ في نظر مجتمعي، فقط لأنني أريد أن أرقص البوب .. أنا أريد أن أرقص، غدًا سأقول لجدتي "هل أنا شاذ وأفعالي كالبنات لأنني أردت أن أرقص فقط!" .. سحقًا!
من بعدها كان علي ترتيب حساباتي من جديد، وقررت التخلي عن الدخول لنادي الرقص، واكتفيت فقط بالرقص مع نفسي.
اكتشفت أن مجتمعنا تحكمه عادات تكاد تنجح في إفساده وليس العكس.

- رقصتني معك يا باسم.
دورِكِ يا سوسن!

-مرحبًا، أنا سوسن، عمري ستة عشر سنة، اليوم تعلمت كيف أرسم عين إنسان بقلم أزرق. سوف أصبح يومًا ما رسامة مشهورة. دخلت امرأة أبي الغرفة دون أن تحترم الخصوصية، لم أدرك أنها كانت تنصت إليّ تلك الحمقاء.
-ستصبحين رسامة، ماذا رسمتِ أريني!

سحبت مني الورقة وقالت: "ما هذه الرسمة الشنيعة المؤذية للنظر؟! سوف أخلصك منها. وهيا تجهزي، ستأتي أم رامي لتطلب يدك لابنها رامي، لا تتأخري".

حينها لامستْ الورقة الطاهرة يديها القذرتين، ومزقتها لقطع غير متساوية الحجم، ورمتها بسلة المهملات الموضوعة بجانب باب غرفتي. وقالت بصوت أخرق امتلأ بالاستهزاء: "لا أريد أن أرى تلك التفاهات من بعد الآن، أتفهمين يا ذات الاحتياجات الخاصة!!".
خرجت امرأة أبي، حينها فتحتُ سلة المهملات وأخرجت من الدرج صندوق رسماتي الممزقة الأخرى من قبل عائلتي وقلت: مرحبًا عائلتي الحقيقية، اليوم وبعد انقطاع دام أسبوعين أحضرت لكم أختًا أخرى. اعذروني، فهذه المرة أختكم أكبركم حجمًا ولكن ليس بكثير، وداعًا .. أو كلا، كونوا جميعكم لبعضكم، قد تكون أختكم آخر ورقة تدخل الصندوق؛ فاليوم سوف أُقتل أقصد ستتم خطبتي.

مع الدموع أسكتت آذاننا، وصمتنا بعض الوقت، ومن بعدها جاء دور كمال.

مرحبًا، أنا كمال، عمري سبعة عشر سنة، ولم أتعلم أي شيء، ولكنني كل يوم أتلقى مديحًا وتحفيزًا على لا شيء من قبل أبي وأمي والجيران وحتى من المارة، لأنني لست كالآخرين الذين عصوا القطيع، لأنني ما زلت منهم ومنتمي إليهم ولم أتوه عن القطيع بعد. أنا الآن تائه بطرقات قريتي، تائه عني وعن العالم، أيمكن أن يتوه المرء حتى عن نفسه ...؟!!

-كمال؟!

-مرحبًا، العم أبو قاسم ..

-كيف حالك يا بني؟، أراك متجهًا نحو المحل لتساعد أباك كالعادة في بيع الدخان، لست كابني العاق، ذهب إلى العاصمة ليتعلم الفسق على النابيو!

-البيانو يا عمي البيانو ....!

-أي ما كان، إنها أدوات تحث على الفسق.

-هيا يا عمي، وداعًا، يجب عليّ أن أذهب لكي أجلب عائلتي من بيت جارتنا. فكما تعلم لا يوجد لدينا إناث يخرجن وحدهن في هذه الأرض ...

لا أكذب عليكم، ولكنني ليتني أملك شجاعة الولد العاق لأتعلم أصول الكتابة، لحسن الحظ أنني أملك في دكان أبي قلمًا ودفترًا - مطلق عليه دفتر الحسابات. أكتب في اليوم صفحتين أو ثلاث وأخبئهم في رفوف المحل، كي لا يعلم القطيع أنني خرجت منذ زمن وتهت عنهم ولم أبقَ معهم.

لن أسافر ولن أغادر المكان، لأنني تائه عني في بلدتي، فكيف لي أن لا أتوه أيضًا في أماكن آخرى.

لا أحد يعلم ماذا أكتب، لا أحد يقرأ كتاباتي. عقلي مليء بالأفكار الحقيقية، أنا فقط أحاول تجسيدها على الورق لتكون يومًا ما منفعة للآخرين، لكي ينقرض القطيع، لكي يطارد الجميع أحلامه بنفسه دون الاكتراث بالآخرين.

سيكون اسم كتابي الأول "في العام الذي مضى أنهيت حياتي"، أيها القارئ إذا بحثت عن اسم الكتاب ووجدته، فاعلم أنني خرجت من قوقعة القطيع، وحاربت من أجل كتاباتي، وإن لم تجده، فاعلم أنني مت قبل أن أنهيه، وليس لأنني لم أستطع الخروج بعد من القوقعة، فأنا منذ أن خلقت كنت خارج عن كل شيء، ولا أمت لأي شيء بصِلة.

أنا بداخلي كل شيء، ولكن بطريقتي الخاصة، أنا لدفتري أنتمي، وقلمي ينتمي لدفتري ولي .. أنا لي وحدي.
لم تكن هناك دروس، لكن كان هناك واقع يجب إجراء عليه بعض الإصلاحات والتغييرات اللازمة.

مع هذه الجملة أنهى كمال قصته، وبعضًا من الحكم الذاتية.
صفق بعدها الجميع للجميع، ثم جاء دوري كرؤى لكي أسجل في تاريخي هذا اليوم الذي سيغير بعضًا من قوانين حياتي ومنهاج قدري. مع "شكرًا" قلتها لكل الحضور، ومع تبادل بعض الأحاديث الجانبية، جاء دوري كتاريخ لكي أهرب إلى مخدعي، وأدون الذي جرى أو الذي توقف.

لم أكن الوحيد

لم أكن الوحيد الذي ساهم في ارتكاب الجريمة. هم خططوا ونفذوا وأنا قُبِضَ عليَّ متلبسًا جالسًا في منزلي. دخلوا دون طرق الباب ودون خلع أحذيتهم، مباشرةً سألوا الموجودين عني وإذ بالكل يشيرُ بأصابع التورط والتعريف الإجرامي عليَّ.

انقضوا عليَّ وأمسكوا بي مكلبشين يديَّ، ثم وضعوا قماشًا أسود غطوا بهِ عينيَّ. بعد ذلك أخذوني إلى السيارة التي ستقِلُني إلى حيث لا أعرف. دَخلتُ السيارة ومشت بي وبهم، الذين رأيتُ منهم فقط تلك العيون المبشرة بالهلاك.

في حينها لم أكن سامعًا سوى صوت أنفاسي المتقطعة، واشتباك فكيَّ ببعضهما البعض. لم تستغرق رحلةُ الرعب إلا أجزاء من الساعة، وصلنا إلى المكان المنشود، وانتهى الطريق الذي تمنيته، أن يكونَ لا نهائي.

أُنزلتُ من السيارة ومشوا بي بضعَ دقائق، ثم صعدنا حوالي العشر درجات، بعد ذلك وضعوني على كرسي خشبي وربطوني به إلى حين قدوم رجلٍ، استغرق قدومه حوالي نصف ساعة.

نصف ساعة لا أدري من أنا فيها، فقط جالس أنتظر قدوم أحد يشرح لي من أكون بالنسبة لهم ولماذا أنا هنا. لكن قدوم الرجل كان نهاية انتظاري، لكن ليس نهاية اختطافي.

تكلم ذلك الرجل مخاطبني: "لماذا فعلتها؟"، أجبت من بعد تفكيرٍ طويلٍ لثلاث ثوانٍ: "ما هي؟"، ثم أعاد نفس السؤال وأنا أجبت بنفس الإجابة، لكن بزيادة "تلك".

بدأتُ أسمع اقتراب خطواته رويدًا رويدًا مني، وقف خلفي، ثم اقترب من أذني وصرخ بشدة: "لا تنكر، أنتَ فاعِلُها". لم أستطع استيعاب ذلك إلا بعدما شربتُ ثلاث أكواب من المياه كع محاولات زوجتي بإقناعي أنه كابوسي اليومي الذي يرافقني من أول أيام زواجي بها.

هي تدري بأنه كابوسه لكن لا تدري لماذا كابوسه. هي لم يشغلها الأمرُ كثيرًا لمعرفة ما هو السبب، لأنها تحوي ماضيًا يثير بعض الشكوك حول ما هي عليه الآن.

في الثامن عشر من عِمرها تعرضت لاغتصاب من أحد أفراد عصابة كان يقطُن في نفس حيِّها. حادثةٌ أجبرتها على الزواج برجلٍ لم يكن مِن مَن تتخيله أو تتمناهُ من الرجال. لم يكن زواجُها منه أمرًا عظيمًا لأنها اعتبرته قسمةً ونصيبًا وسترًا لمصيبتها.

هي أيضًا أنثى متعلمة تحمل شهادة جامعية في الزراعة. لم تحلم قط بأنها ستتخرجُ من مكانٍ كانت تعتقد بأنه للناس ذوي التفكير المحدود.

يملا كان طفلًا واحدًا في الثامن عشرَ من عمره، يدرسُ في جامعة العلوم الفيزيائية، وهي سنتهُ الأولى هناك. فهو يحلم أن يكونَ عالمًا فيزيائيًا بعكس ما تريده أمه. فهي ترغب بأن يصبح مهندسًا ووالده يتمنى أن يصبح طبيبًا. هذه أحلامُ الوالدين، مقتصرة على الأمور الشائعة.[١]

[١] ** هذا النص ليس كاملًا، بل هو بداية لرواية، ستتواجد في الكتاب القادم إن شاء الله.

أنا من يبحث عن نفسه في وحلٍ ما.
لكن عدم توفيقه في التنظيف جعل منه جزءًا من الوحل.
أنا عبد الله مُفلح، سوري الجنسية.
أسكن بهولندا، أدرس إدارة الأعمال.
الوقت يوفر لنا ما نحتاج من مواهب.

الفهرس

لم تأتِ	٩
لم تأتِ ٢	١٠
لم تأتِ ٣	١١
لم تأتِ ٤	١٢
لم تأتِ ٥	١٣
الترياق	١٥
ألم تحني..؟!	١٦
لن أراها	١٨
لستُ على ما يرام	٢١
الباب الخاطئ	٢٤
الخيبة ١	٢٩
الخيبة ٢	٣٣
الخيبة ٣	٣٧

لانا	٤٤
أسما	٥٢
أسما ٢	٥٦
لما	٥٩
لم أكن الوحيد	٧٠
الفهرس	٧٥